

إنها حلاوة الأمان

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي في علاه، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ أَدَامَ ذِكْرَهُ وَقَاهُ، وَمَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ وَأَعْطَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ، عَظَمَتُهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَاهُ.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله العبد الذليل لربه ومولاه، والمتبع لما يحبه ويرضاه، صلى الله وسلم عليه كلما حفظت النفس، وظهرت من الرجس وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد ... ؛

فإن نعمة حلاوة الإيمان ولذة الطاعة والإحسان ، من النعم التي لا يدركها كنهها ولا يعرف قيمتها إلا من ذاقها وأحس بها وعاش معها ، ولذة العبادة والطاعة لذة لا يستشعر أثرها إلا من تذوق طعمها وأنس بوجودها.

وحلاوة الإيمان تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق ، فيأنس بها القلب وتطمئن بها النفس ، فلا يحس معها المرء بأرق ولا قلق ولا ضيق، قال تعالى : " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧) سورة الأنعام.

روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (مرفوعا) في تفسير هذه الآية : " إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح . قالوا: فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟ قال: الإجابة إلى دار الخلود، والتّحّي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت ". راجع: تفسير القرطبي ١٣/١٠٠.

ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن للإيمان طعاماً وحلاوة لا يحسها ولا يتذوقها إلا من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا. أخرجه أحمد ١٧٧٨/٢٠٨/١ و"مسلم" ٤٦/١ (٦٠).

وأن هذه الحلاوة لا بد لها من أصول وشروط ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يَكْرَهُ الْعَبْدُ أَنْ يَرْجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ ، وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدُ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه أحمد ١٧٤/٣ (١٣٨١٤) و"مسلم" ٧٦.

قال النووي رحمه الله : " هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَعْنَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ اسْتِلْذَاقُ الطَّاعَاتِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَقَّاتِ فِي رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِثَارِ ذَلِكَ عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَمَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِفِعْلِ طَاعَتِهِ ، وَتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . النووي : شرح صحيح مسلم ١١٢/١.

قال وهيب بن الورد : بلغنا - والله أعلم - أن موسى - عليه السلام -
قال : يا ربّ أوصني ؟ قال : أوصيك بي ، قالها ثلاثاً حتى قال في
الآخرة : أوصيك بي أن لا يعرض لك أمرٌ إلا آثرت فيه محبتي على ما
سواها ، فمن لم يفعل ذلك لم أركّه ولم أرحمه . أخرجه : أبو نعيم في "
الحلية " ١٤١/٨ - ١٤٢ .

وحلاوة الإيمان تستلزم من المؤمن أن يكون وقافاً عند أوامر الله تعالى
فيجده الله حيث أمره ويفتقده حيث نهاه ، وأن يجعل الرضا عن الله تعالى
دثاره ، وحسن التوكل عليه عنوانه وشعاره .

وأن يسلك سبل الطالبين لحلاوة الإيمان فيجاهد نفسه ويحسن عبادة ربه
، كما يحسن مصاحبة الأخيار الأبرار .

يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمعُ * * * أنتَ المعدُّ لكلِّ ما يَتَوَقَّعُ
يا مَنْ يَرْجَى للشَّدَائِدِ كُلِّها * * * يا مَنْ إِلَيْهِ المَشْتَكى والمَفْزَعُ
يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قولٍ كُنْ * * * اْمِنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مالي سوى فقري إليك وسيلةً * * * فبالافتقار إليك فقري أَدْفَعُ
مالي سوى قرعي لبابك حيلةً * * * فلئن رددتَ فَأَيُّ بابٍ أَقرعُ ؟
ومن الذي أدعو وأهتفُ باسمه * * * إن كان فَضْلُكَ عن فقيرك يُمْنَعُ ؟
حاشا لجودك أن تقنطَ عاصياً * * * الفضلُ أَجْزَلُ والمواهبُ أَوْسَعُ
اللهم زينا بزينة الإيمان وأدقنا حلاوته ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك .

راجي عفوريه

دكتور / بدر عبد الحميد هميّسه

hamesabadr@yahoo.com

تحريراً في : ١١ رجب ١٤٣١ - ٢٣ من يونيو ٢٠١٠ م

أولاً : جنة الدنيا وجنة الآخرة :

حينما جاء خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو ظلم قريش للمستضعفين من المسلمين ، قال له في إيمان الوثائق بربه الذي ذاق حلاوة الإيمان به والثقة بما عنده من عزة ونصر : " قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ ، لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ . أَخْرَجَهُ "أحمد" ١٠٩/٥ (٢١٣٧١) و"البخاري" ٢٤٤/٤ (٣٦١٢) .

لذا فقد وجدنا بلال بن رباح رضي الله عنه يطبق حلاوة الإيمان تطبيقاً عملياً حينما كان يعذب من قبل قريش بعد إعلان كلمة التوحيد وكان يعذب في رمضان مكة حيث إنه سئل كيف صبرت يا بلال؟ قال: مزجت حلاوة الإيمان بمرارة العذاب فطغت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب فصبرت .

قال الشاعر :

ضع في يديّ القيد ألهب أضلعي * * * بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة * * * أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي * * * ربّي .. وربّي ناصري ومعيني
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي * * * وأموت مبتسماً ليحيا ديني

يقول ابن تيمية رحمه الله : " فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، إذ ليس في القلب السليم أحلى ولا أطيب

ولا ألد ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً " . ابن تيمية : العبودية ٦ .

قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٠٠) .

ومن المشاهد التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مشهد مشاطة ابنة فرعون ، تلك المرأة المؤمنة التي ذاقت حلاوة الإيمان فهانت في عينيها الدنيا بما فيها وبمن فيها ، وتحملت التعذيب والقتل بنفس راضية مؤمنة ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَى رَاحَةِ طَيْبَةٍ فَقُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَاحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا . قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ . فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِي قَالَتَ لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ . قَالَتْ أَخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ . فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاَهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي قَالَتْ نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ . فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ وَمَا حَاجَتُكَ قَالَتْ أَحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا . قَالَ ذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ . قَالَ

فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضِعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ يَا أُمِّهِ افْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَافْتَحَمَتْ. قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَكَلَّمَ أَرْبَعَةَ صِغَارٍ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشِطَةَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٠٩/١ (٢٨٢٢).

وحلاوة الإيمان لا يحسها ولا يعايشها أي أحد ، كما أنها لا تباع ولا تستجدي ، يقول أحدهم من شدة سروره بتلك النعمة : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه - يعني من النعيم - لجالدونا عليه بالسيف. وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. الوابل الصيب (٧٠).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وقال أيضاً : ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا يمكن محبة إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه . مجموع الفتاوى (٣٢/٢٨).

قال مُطَرِّفُ بن عبد الله الشخير: أتيت عمران بن حصين يوماً، فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقى. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله. وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته. فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه

الحالة العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به، واكتم علي حتى أموت، إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم علي فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به؟! (إحياء علوم الدين ٤/٣٤٩).

وهذا خالد بن الوليد فارس الإسلام وليث المشاهد - رضي الله عنه - يقول - حين ذاق طعم الإيمان وخالط بشاشة قلبه -: والله ما ليلة تهدي إليّ فيها عروس، أنا لها محب، أبشرّ فيها بسلام، بأحب من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد، في سرية في المهاجرين أنتظر فيها الصبح لأغير على أعداء الله .

كأنما الموت في أفواههم عسل * من ريق نحل الشفا حدث ولا حرجاً**
حتى إذا ما حلت به السكرات، قال: لقد طلبت القتل مظانه، فلم يقدر لي أن أموت إلا على فراشي، ولا والله - الذي لا إله إلا هو - ما عملوا شيئاً أرجى عندي بعد التوحيد في ليلة بتّها وأنا متترس، والسماء تهلني ننتظر الصبح حتى نغير على أعداء الله . لقد شهدت كذا وكذا مشهداً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح، أو رمية سهم، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير، لا نامت أعين الجبناء، عدتي وعتادي في سبيل الله، ثم لقي الله رضي الله عنه وأرضاه .

الدم الذاكي جرى في عرقهم * فاض مسكاً وتندي عنبراً**
فاسألوا عن كل نصر خالداً * واسألوا عن كل عدلٍ عمر**
وابن تيميه - رحمه الله - يدخل سجن القلعة ويغلق عليه الباب، فيبرز بلسم الحياة في تلك اللحظة - أعني الإيمان - فيقول: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورِ

لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) ما يصنع أعدائي بي؟
أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رُحت فهي معي لا تفارقتي، حبسي
خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. إن في الدنيا جنة من لم
يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة الإيمان.

المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والله لو
بذلت ملء القلعة ذهباً ما عدل ذلك عندي شكر نعمة الحبس، وما جزيتهم
على ما تسببوا لي فيه من الخير، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك، حاله:

أنا لست إلا مؤمناً * بالله في سري وجهري**
أنا نبضة في صدر هذا * الكون فهل يضيق صدري**

يقول تلميذه [ابن القيم] -رحمه الله-: وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب
عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والتنعّم،
وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ومع ذلك فهو من أطيّب
الناس عيشاً وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نظرة
النعم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون،
وضاقت بنا الأرض أتيّناه؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك
كله، وينقلب انشراحًا وقوة وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل
لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها
وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. راجع: بلسم الحياة : علي
عبد الخالق القرني ٥ وما بعدها .

يذكر أن زوجاً قال لزوجته بغضب: لأشقيّنك . فقالت الزوجة في هدوء
وإيمان وعزة : لا تستطيع أن تشقيني كما لا تستطيع أن تسعدني.

فقال الزوج في حق : وكيف لا أستطيع ؟ فقالت الزوجة في ثقة : لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني أو زينة من الحلي لحرمتني منها ، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون ! فقال الزوج في دهشة : وما هو ؟ فقالت الزوجة في يقين : إني أجد سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي .

فحلاوة الإيمان تمنحك القوة والعزة وتيسر عليك كل يسير وتهون عليك كل صعب ، وتجمل حياتك بالرضا الكامل عن الله ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : "ما أصبت بمصيبة إلا كان الله علي فيها أربع نعم : أنها لم تكن في ديني، وأنها لم تكن أكبر منها، وأني لم أحرم الرضا عند نزولها، وأني أرجو ثواب الله عليها".
قال أحدهم :

رضيت بما قسم الله لي * * * وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى * * * كذلك يحسن فيما بقي

قال حاتم بن الأصم بنيت توكلني على أربعة أمور: علمت أن الله ناظر إلي فأنا أراقبه . وعلمت أن رزقي لا يأخذه أحد غيري فأنا مطمئن به. وعلمت أن عملي لن يعمله أحد غيري فأنا مشغول به. وعلمت أن الموت يطلبني فأنا مستعد له. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٣/٨)، والبيهقي في الشعب (٩٨/٢).

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ غِنَى أَعْنَى مِنْ سُكُونِ الْقَلْبِ ، وَلَيْسَ فَقْرٌ أَفْقَرُ مِنْ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ ، وَلَيْسَ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الزُّهْدِ ، وَلَيْسَ ذُلٌّ أَدَلُّ مِنَ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالطَّمَعِ ، وَلَيْسَ شَرَفٌ أَشْرَفُ مِنَ الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ دَرَجَةٌ أَعْلَى مِنَ الصَّبْرِ ، وَلَيْسَ حَلَاوَةٌ أَحْلَى مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ، وَلَيْسَ

مَرَارَةً أَمَرَ مِنْ سَخَطِهِ ، وَلَيْسَ زَيْنٌ أَزَيْنَ مِنَ التَّوَاضُّعِ ، وَلَيْسَ جَهْلٌ أَجْهَلَ مِنَ الْكِبَرِ ، وَلَيْسَ قُوَّةٌ أَقْوَى مِنَ الْجُوعِ ، وَلَيْسَ دَاءٌ أَدْوَى مِنَ التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ كَلَامٌ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . ابن عبد البر المجالسة وجواهر العلم ٥١٥/٤ .

عن محمد بن عجلان حدثني شيخ من أهل الشام قال: قال أبو الدرداء: ما لي لا أرى حلاوة الإيمان تظهر عليكم؟! والذي نفسي بيده لو أن دب الغاية وجد طعم الإيمان لظهر عليه حلاوته، ما خاف عبد على إيمانه إلا منحه، وما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه. البيهقي: شعب الإيمان (٥٠٦/١).

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: علم القوم في أربعة أشياء: يرون كل شيء من الله؛ ثم يرجعون مع كل شيء إلى الله؛ فيطلبون كل شيء من الله؛ ويردون كل شيء إلى الله. البيهقي: شعب الإيمان (٣٠/٢).

إذن فحلاوة الإيمان هي جنة الدنيا التي يحيا المؤمن في ظلها الوارف ، كما أنها هي جنة الآخرة ، لأن من زرع هنا حصد هناك .
قال الشاعر :

**غداً توفى النفوس ما كسبت * * * ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم * * * وإن أساءوا فبئس ما صنعوا**

وهذه اللذة وتلك الحلاوة تتفاوت من شخص إلى شخص حسب قوة الإيمان وضعفه، وتحصل هذه اللذة بحصول أسبابها، وتزول بزوال أسبابها، وعلى المسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيلها لينعم بالحياة السعيدة .

ثانيا : من أسباب تحصيل حلاوة الإيمان :

ومن الأسباب المعينة على تحصيل حلاوة الإيمان ولذة العبادة والطاعة والإحسان :

١- مجاهدة النفس :

وذلك بتعويدها ومجاهدتها على الطاعة والعبادة ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ " . العنكبوت:٩٦.

فالنفس نزاعة إلى الشهوات ، تميل إلى الملذات ، فيا سعه من جاهدها وزكاها ، قال تعالى : "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) سورة الشمس.

عن شدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى

عَلَى اللَّهِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٤/٤) (١٧٢٥٣) و"ابن ماجة" ٤٣١٠ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٤٥٩

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ؛ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ الرَّازِيُّ : إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِدَ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ وَتَبْلُغَ ذُرْوَةَ سَنَامِهَا ؛ فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَائِطًا مِنْ

حَدِيدٍ . ابن عبد البر المجالسة وجواهر العلم ٥٣٣/٣.

يقول الشاعر :

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها * * * وفي نيلها ما تشتهي ذلُّ سرمد

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلا * * * ولا ترض للنفس النفيسة بالردي

وقال آخر :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * * * حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

فجاهد النفس والشيطان واعصهما * * * وإن هما محضاك النصح فاتهم

قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه :

إِنَّ أَوَّلَ مَا أَحْذَرُكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنِيحَيْكَ .جامع العلوم والحكم ٢/٢٣.

وقال سالم الخواص : أوحى الله إلى داود : لا تقرب الشهوات ، فإنني خلقتها لضعفاء خلقي ، فإن أنت قربتها ، أهون ما أصنع بك أسلبك حلاوة مناجاتي ، يا داود ، قل لبني إسرائيل ، لا تقربوا الشهوات ، فالقلب المحجوب بالشهوات حجب صوتته عنى .شرم صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٢١٠.

قال ابن القيم: "السالك في أول الأمر يجد تعب التكاليف ومشقة العمل لعدم أنس قلبه بمعبوده، فإذا حصل للقلب روح الأُنس زالت عنه تلك التكاليف والمشاق فصارت قرة عين له وقوة ولذة".

فكم من شهوة ساعة أورثت ذلاً طويلاً، وكم من ذنب حرم قيام الليل سنين، وكم من نظرة حرمت صاحبها نور البصيرة، قيل لبعض السلف: (أيجد لذة الطاعة من عصى؟) قال: (ولا من همَّ) .

فأعظم عقوبات المعاصي حرمان لذة الطاعات وإن غفل عنها المرء لقلة بصيرته وضعف إيمانه أو لفساد قلبه ، قال ابن الجوزي : "قال بعض أحبار بني إسرائيل : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ ف قيل له : كم أعاقبك وأنت لا تدري ، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟ .

قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه * * * هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته * * * إن المحب لمن يحب مطيع

في كل يوم يبتديك بنعمة * * * منه وأنت لشكر ذلك مضيع

قال "ابن الجوزي" - رحمه الله - : (من تأمل ذل إخوة يوسف عليه السلام يوم قالوا : {تصدق علينا} .. عرف شؤم الزلل ، وذلك رغم توبتهم ، لأنه ليس من رقع وخاط كمن ثوبه صحيح . فرب عظم هين لم ينجر ، فإن جبر فعلى وهن) راجع : صيد الخاطر لابن الجوزي : ص ١٢٤ .

قال أبو سليمان الدارني يقول ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها . حلية الأولياء ٢٦٢/٩ .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ * * * وَقَدْ يُوْرِثُ الذُّلُّ إِدْمَانَهَا
وَتَرَكُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ * * * وَخَيْرُ لِنَفْسِكَ عَصِيَانَهَا

قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : إني لا أقدر على قيام الليل فص لي دواء؟! فقال : لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف ، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف . قال سفيان الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : يا أبا سعيد : إني أبيت معافى وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟! فقال الحسن : ذنوبك قيدتك!! .

وقال رجل للحسن البصري : أعياني قيام الليل؟! فقال : قيدتك خطاياك .

وقال أبو الدرداء : إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى ، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر .

وقد لخص الإمام "ابن القيم" في كتاب الفوائد آثار المعاصي تلخيصاً جميلاً ، حيث قال - معدداً آثار المعاصي : (قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق ، والوحشة بين العبد وربّه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ، ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة ، وكسف البال .. تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله ، كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار . وأضداد هذه تتولد عن الطاعة) ([كتاب الفوائد لابن القيم : ص ٤٣]) .

يقول محمود الوراق :

هاك الدليل لمن أراد * * * غنى يدوم بغير مال
وأراد عزاً لم توطئ * * * ده العشائر بالقنال
ومهابة من غير سل * * * ان وجاهاً في الرجال
فليعتصم بدخوله في * * * عز طاعة ذي الجلال
وخروجه من ذلة ال * * * عاصي له في كل حال

إن لذة الطاعة لا تعادلها لذة وحلاوة الإيمان لا تعادلها حلاوة وعز الطاعة لا يعادله عز . كما أن مرارة المعصية لا تعادلها مرارة وشؤم الذنب لا يعادله شؤم . وذل المعصية لا يعادله ذل .

وقال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة . وقال بعضهم: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك .

جاء في الإسرائيليات : أن رجلاً تزوّج امرأة من بلدة ، وكان بينهما مسيرة شهر ، فأرسل إلى غلام له من تلك البلدة ليحملها إليه فصار بها يوماً ، فلما جنّه الليل أتاه الشيطان فقال له : إن بينك وبين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها ليالي هذا الشهر إلى أن تصل إلى زوجها ، فإنها لا تكره ذلك وتثني عليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده ، فقام الغلام يصلي فقال : يا رب ، إن عدوك هذا جاعني فسوّ لي معصيتك ، وإنه لا طاقة لي به في مدة شهر وأنا أستعيزك عليه يا رب فأعزني عليه ، واكفني مؤونته ، فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشدّ على دابة المرأة وحملها وسار بها ، قال : فرحمه الله تعالى ، فطوى له مسيرة شهر فما برق الفجر حتى أشرف على مدينة مولاه ، قال : وشكر الله تعالى له هربه إليه من معصيته فنبأه ، فكان نبياً من أنبياء بني إسرائيل . قوت القلوب ٣/٣٣٥.

فإذا أردت تحصيل حلاوة الإيمان فليكن بمجاهدة نفسك ضد وساوسها ووساوس الشيطان .

٢- الصلاة والإكثار من النوافل :

قال تعالى : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) سورة هود .

فالصلاة مصدر للسعادة والسكينة ومعينة حلاوة الإيمان ولذة الطاعة ، فإن فيها صلة وقرباً من الله تعالى وفيها من الفوائد الدنيوية والأخروية ما لا يعد ولا يحصى ، فالصلاة باب لتيسير الأمور وتفريج الكرب ودفع

البلاء ، وفيها تكفير الخطايا والذنوب، قال تعالى: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ** [هود: 114]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله يقول: أُرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا.

والصلاة بابٌ للرزق، قال تعالى: **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** [طه: 132].

والصلاة أولُّ شروط النصر والتمكين، قال تعالى: **"الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور"** [الحج: 41].

وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فتطهر القلوب من درن الذنوب والمعاصي، **"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"** [العنكبوت: 45].
والصلاة هي المفزع عند الجزع، وإليها الهرب عند الهلع والجوع عند الخوف قال تعالى **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"** [البقرة: 153]؛ لذا كانت قرّة عين النبيّ ، فإذا حزبه أمرٌ أو نزل به كرب فزع إلى الصلّاة.

والصلاة راحة النفس وطمأنينة القلب ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **"وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"**. البخاري رقم 1969 و 1970، ومسلم برقم 1106.

وكان يقول : **"يا بلال أرحنا بالصلاة"** . الترمذي برقم 745، والنسائي 202/2 وغيرهما.

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ ، سَمِعَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ ، قَالُوا : قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا. أَخْرَجَهُ "أَحْمَدُ" (٢٥١/٤) (١٨٣٨٤) و"الْبُخَارِيُّ" (٦٣/٢) (١١٣٠) و"مُسْلِمٌ" (١٤١/٨) (٧٢٢٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا ، حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ . قُلْنَا : وَمَا هَمَمْتَ ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٨٥/١) (٣٦٤٦) و"الْبُخَارِيُّ" (٦٤/٢) (١١٣٥) و"مُسْلِمٌ" (١٨٦/٢) (١٧٦٥).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ. فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِنَةِ ، ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ، فَمَضَى. فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتْرَسَلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّدٍ تَعَوَّدَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا ، قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٨٢/٥) (٢٣٦٢٩) و"الْحَارِمِيُّ" (١٣٠٦) و"مُسْلِمٌ" (١٨٦/٢) (١٧٦٤).

قال ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه * * * إذا انشلق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * * * به موقنات أن ما قال واقع

يبين بجاني جنبه عن فراشه * * * إذا استنقلت بالمشركين المضاجع

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر من صلاة النافلة تقربا لله رب العالمين ومحبة له وطلباً لمرضاته ، وحتى ينال الولاية والهداية ، عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِينَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ. أخرجه البخاري ١٣١/٨ (٦٥٠٢).

لذا نجده صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة ، وربما صلاها عشر ركعات. راجع : البخاري برقم ١١٤٧، ١١٧٢ ومسلم برقم ٧٣٩ ، ٧٣٧.

وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله . مسلم برقم ٧١٩. وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى ما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة. مسلم برقم ٧٧٢.

فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة. كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.

كما كان صلى الله عليه وسلم يكثر من النوافل الأخرى كالصوم والصدقة ، فكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر. مسلم برقم ١١٦٠. ويتحرى صيام الاثنين والخميس ، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كله ، ورغب في صيام ست من شوال، وكان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم . البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم ١١٥٦.

وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة وينهى عن الوصال، وبَيَّن أنه صَلَّى الله عليه وسلَّم ليس كأُمته؛ فإنه يبِيت عند ربه يطعمه ويسقيه مسلم برقم 1160.

وكان يكثر الصدقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام . مسلم برقم 1164.

فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة . البخاري برقم 1971، ومسلم 1156.

وعلى هذا سار السلف الصالح رضوان الله عليهم فضربوا أروع الأمثلة في تحقيق حلاوة الإيمان سلوكاً ومعايشة وتطبيقاً ، ولعلنا سمعنا قصة عروة بن الزبير رضي الله عنه الذي أصيب ساقه بالسرطان، فقال الأطباء له: لا علاج لها إلا قطعها، فماذا يفعل؟ إنه أمام القضاء والقضاء، قضاء الله، ولا حيلة إلا الصبر، وأراد الأطباء أن يعطوه شيئاً يخدرونه حتى لا يشعر بألم القطع، فقال عروة: والله لا أتعاطى شيئاً يغيب عقلي عن ذكر الله تبارك وتعالى. ثم قال لهم: إذا دخلت في الصلاة وجلست لقراءة التشهد فاقطعوا ساقِي فإني عندما أكون بين يدي الله، لا يكون في قلبي إلا الله تبارك وتعالى. ودخل عروة الصلاة، وكانت صلاته من نماذج فريدة. راجع القصة بتمامها في : (مختصر تاريخ دمشق 5/ ٢٧٥).

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون وأرخى الليل سدوله، سمع له دويّ كدوي النحل وهو قائم يصلي.

وهذا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما كان إذا قام في الصلاة كأنه عود من شدة الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط.

وعن جعفر بن زيد رحمه الله قال : خرجنا غزاة إلى [كأبول] وفي الجيش [صلة بن أشيم العدوي ، قال : فترك الناس بعد العتمة (أي بعد العشاء) ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه ، فدخلت في أثره ، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ، وبينما هو يصلي إذا جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي !! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة ، أما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد !! ولا خاف من زئيره ولا بالى به !! ثم سجد صلة فاقترب الأسد منه فقلت : الآن يفترسه !! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء ، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم ، التفت إلى الأسد وقال : أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر !! فولى الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال !! فما زال صلة يصلي حتى إذا قرب الفجر !! جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلهما إلا ما شاء الله ، ثم قال : الله إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة !!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه (أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائماً) فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبني من الكسل والخمول شيء الله به عليم .

وكان العبد الصالح عمرو بن عتبة بن فرقد رحمه الله يخرج للغزو في سبيل الله ، فإذا جاء الليل صف قدميه يناجي ربه ويبكي بين يديه ، كان

أهل الجيش الذين خرج معهم عمرو لا يكلفون أحداً من الجيش بالحراسة ؛ لأن عمرو قد كفاهم ذلك بصلاته طوال الليل ، وذات ليلة وبينما عمرو بن عتبة رحمه الله يصلي من الليل والجيش نائم ، إذ سمعوا زئير أسد مفرع ، فهربوا وبقي عمرو في مكانه يصلي وما قطع صلاته !! ولا التفت فيها !! فلما انصرف الأسد ذاهبا عنهم رجعوا لعمرو فقالوا له : أما خفت الأسد وأنت تصلي ؟! فقال : إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه !! .

وزار يوماً محمد بن جحادة فأتاه في المسجد فوجده يصلي فقام قيس في الجانب الآخر يصلي دون أن يشعر به ابن جحادة .. فما زالا يصليان حتى طلع الفجر .

ودخلت إحدى النساء على زوجة الإمام الأوزاعي رحمه الله فرأت تلك المرأة بللاً في موضع سجود الأوزاعي ، فقالت لزوجة الأوزاعي : ثكلتك أمك !! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل) فقالت لها زوجة الأوزاعي : ويحك هذا يُصبح كل ليلة !! من أثر دموع الشيخ في سجوده .

وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه : أیظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً !! ثم يصلي إلى الفجر .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل ، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسها ثم يقول : ما أليّنك ولكن !!! فراش الجنة أليّن منك ثم يقوم إلى صلاته .

وقال بعض السلف: إني لأفرح بالليل حين يقبل لما يلتذ به عيشي، وتقر به عيني من مناجاة من أحب، وخلوتي بخدمته، والتذلل بين يديه، وأغتم للفجر إذا طلع لما اشتغل به.

وكان ثابت البناني يقول: " اللهم إن كنت أعطيت أحدا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري".

وقال سفيان الثوري: إني لأفرح بالليل إذا جاء، وإذا جاء النهار حزنت. راجع: علي نايف الشحود: موسوعة الخطب والدروس ٢٤/٢٤٣.

قال الشاعر :

غَلَبَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي ، وَصِرَاعٌ * * * فِي فُؤَادِي يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ

كَلَّمَا لَمْ فِي فُؤَادِي شَوْقٌ * * * دَفَعَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي فَتَزِيدُ

وَإِذَا بِالْخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا * * * قِي فَتَنْصَفُو وَتَرْتَقِي فَتَجُودُ

روي عن السري بن مغلث السقطي أن لصاً دخل بيت مالك بن دينار فما وجد شيئاً فجاء ليخرج فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليك السلام، قال: ما حصل لكم شيء من الدنيا فترغب في شيء من الآخرة - قال: نعم، قال: توضع من هذا المكن وصل ركعتين، ففعل ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح، قال: فلما خرج مالك إلى المسجد قال أصحابه: من هذا معك - قال: جاء يسرقنا فسرقتنا. تاريخ الإسلام للذهبي ١٤٤/٣.

٣- تلاوة القرآن وتدبره :

قال تعالى : " وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) سورة الإسراء .

في تلاوة القرآن الكريم وفي تدبره سعادة لا تعدلها سعادة وأنسا لا يحس به إلا من ذاقه ، والمؤمن لو صح إيمانه وصلح قلبه ما شبع من كلام ربه سبحانه ، قال بعضهم لعثمان بن عفان رضي الله عنه : نقرأ القرآن ولا نجد له طعما. قال : والله لو سلمت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم . قال الله عز وجل : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) سورة فاطر.

فالقرآن الكريم لمن يحسن التعامل معه يجد فيه حلاوة الإيمان ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْهُ شَيْءٌ ، أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ ، إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْ سَوَادِهِ ، أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٢٩) و"النسائي" في "الكبرى" ٦٧٠٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة! وغشيتهم الرحمة! وحفتهم الملائكة! وذكرهم الله فيمن عنده!!» رواه مسلم.

قال الشاعر :

قرآننا مشعل يهدي إلى سبل * من حاد عن نهجها لا شكّ خسران**

قد ارتضيناه حكماً لا نبذله * ما دام ينبض فينا منه شريان**

فإن في القرآن شفاءً للقلوب من أمراضها، وجلاءً لها من صدئها، وترقيقاً لما أصابها من قسوة، وتذكيراً لما اعترأها من غفلة، مع ما فيه من وعد ووعد، وتخويف وتهديد، وبيان أحوال الخلق بطريقهم أهل الجنة وأهل السعير، ولو تخيل العبد أن الكلام بينه وبين ربه كأنه منه إليه لاخلع قلبه من عظمة الموقف، ثم يورثه أنس قلبه بمناجاة ربه، ولوجد من النعيم ما لا يصفه لسان أو يوضحه بيان.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، عَنْ جَدِّهِ عَبَّادِ بْنِ حَمْزَةَ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَسْمَاءَ وَهِيَ تَقْرَأُ : {فَمَنْ اللَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} قَالَ : فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا ، فَجَعَلَتْ تَسْتَعِيدُ وَتَدْعُو . قَالَ عَبَّادُ : فَذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ ، فَقَضَيْتُ حَاجَتِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ ، وَهِيَ فِيهَا بَعْدُ تَسْتَعِيدُ وَتَدْعُو . مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٢١.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ ، مِنْ نَخْلٍ ، فَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا ، أَتَى زَوْجَهَا ، وَكَانَ غَائِبًا ، فَلَمَّا أَخْبَرَ الْخَبَرَ ، حَلَفَ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُهْرِيقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ دَمًا ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا ، فَقَالَ : مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَا : نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَكُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ ، قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ قَدْ نَزَلُوا إِلَى الشَّعْبِ مِنَ الْوَادِي ، فَلَمَّا أَنْ

خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ : أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيكَهُ ، أَوَّلُهُ ، أَوْ آخِرُهُ ؟ قَالَ : بَلِ اكْفِنِي أَوَّلَهُ ، قَالَ : فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي ، قَالَ : وَآتَى زَوْجَ الْمَرْأَةِ ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيبَةُ الْقَوْمِ ، قَالَ : فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، قَالَ : فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي ، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، قَالَ : فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتْ قَائِمًا يُصَلِّي ، ثُمَّ عَادَ لَهُ الثَّالِثَةَ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثُمَّ أَهَبَ صَاحِبَهُ ، فَقَالَ : اجْلِسْ فَقَدْ أُثْبِتُ ، فَوَثَبَ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ نَذَرَ بِهِ ، فَهَرَبَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمَاءِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَفَلَا أَهْبَيْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرَأُهَا ، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِذَهَا ، فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمِي رَكَعْتُ فَأَذْنَتُكَ ، وَابْنُ اللَّهِ ، لَوْلَا أَنْ أَضِيعَ تَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ ، لَقَطَعْتُ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا ، أَوْ أَنْفِذَهَا . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣/٤٣ (١٤٧٦٠) و"أَبُو دَاوُدَ" ١٩٨ و"ابن خزيمة" ٣٦ .

وكما أن المؤمن يحس بحلاوة التلاوة فإنه يجب عليه أن يستشعر حلاوة التطبيق فالأمر ليس بالكم إنما يكون بالكيف ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، يُقَالُ لَهُ : سُلَيْمٌ ؛ (أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَ مَا نَنَامُ ، وَتَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ ، فَيُنَادِي بِالصَّلَاةِ ، فَنَخْرُجُ إِلَيْهِ ، فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ، لَا تَكُنْ فَتَانًا ، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِيَ ، وَإِمَّا أَنْ تُخَفَّفَ عَلَى قَوْمِكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا سُلَيْمٌ ، مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ

النَّارِ ، وَاللَّهُ مَا أَحْسَنُ دَنْدَنَتَكَ ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةَ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، وَنَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ؟! ثُمَّ قَالَ سُلَيْمٌ : سَتَرُونَ غَدًا إِذَا التَقَى الْقَوْمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : وَالنَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ إِلَى أَحَدٍ ، فَخَرَجَ وَكَانَ فِي الشُّهَدَاءِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٧٤/٥ (٢٠٩٧٥) .

٤- الذكر والدعاء:

في الذكر والدعاء سعادة وهناء ' وفي تركهما بؤس وشقاء ، قال تعالى : " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) سورة طه .

وقال : {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (٢٨) سورة الرعد .

والمؤمن يعرف أن من خير الأعمال عند الله وأزكاها وأعلاها ذكر الله تعالى ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ . وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٩٥/٥ (٢٢٠٤٥) و"ابن ماجه" ٣٧٩٠ و"الترمذي" ٣٣٧٧ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَأِنِّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا لَلْقَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً وَلَوْ عَمِلْتَ مِنَ الْخَطِيئَاتِ حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا لَمْ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي لَغَفَرْتُ لَكَ ثُمَّ لَا أُبَالِي » صحيح مسلم (٦٧٣٧) مطولا.

قل لبعض الصالحين لما أكثر الخلوة: ألا تستوحش؟ قال: وهل يستوحش مع الله أحد؟!.

وقال آخر: كيف أستوحش وهو يقول: وأنا معه إذا ذكرني؟!.

فالذي يذكر ربه صاحب قلب حي يحس طعم الإيمان وحلاوته ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ .

رواية مسلم : مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ . أخرجه البخاري ١٠٧/٨ ومسلم ١٨٨/٣ .

أروى نَ رَجُلًا قَالَ لِلْحَسَنِ: " يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَشْكُو إِلَيْكَ قَسَاوَةَ قَلْبِي قَالَ: أَدَّبُهُ مِنَ الذِّكْرِ " وفي رواية عليّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ وَقَالَ: أَدَّبُهُ بِالذِّكْرِ . شعب الإيمان ١٨٠/٣ .

قال ابن القيم رحمه الله: " إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فأفرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة، قال بعض الزهاد ما علمت أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان فقال له رجل إني أكثر البكاء

فقال إنك وإن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك وأن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه فقال أوصني فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها ، وكن في الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن أطعمت أطعمت طيباً وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخذشه ". راجع : الفوائد ١٢٥.

قال الشاعر:

**إليك وإلا لا تشد الركائب * * * ومنك وإلا فالموئل خائب
وفيك وإلا فالكلام مضيع * * * وعنك وإلا فالمحدث كاذب**

روى عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً فيهم رجل يقال له حدير، وكانت تلك السنة قد أصابتهم شدة من قلة الطعام، فزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسي أن يزود حديراً، فخرج حدير صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، فهو يرددها وهو في آخر الركب. قال: فجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب. قال: وكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فدفع إليه الزاد، حفظ عليه ما يقول، ويقول له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورحمة الله، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إلي جبريل يذكرني بك، فذكره جبريل

وأعلمه مكانك. قال: فانتهى إليه وهو يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول: نعم الزاد هذا يا رب. قال: فدنا منه ثم قال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلني إليك بزاد ويقول: إنما نسيتك فأرسل إلي جبريل من السماء يذكرني بك. قال: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين ذكرني ربي من فوق سبع سموات وفوق عرشه ورحم جوعي وضعفي، يا رب كما لم تنس حديراً فأجعل حديراً لا ينساك. قال: فحفظ ما قال فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع منه حين أتاه، وبما قال حين أخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض ".

انظر: أسد الغابة ١/٧٧٠، ابن الجوزي: المنتظم ٧/٣، صفة الصفوة ١/٢٩٢، وأخرجها ابن منده وأبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة (وفي إسناده مقال).

يقول الشاعر :

فليتك تحلو والحياة مريرة * * * وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر * * * وبينني وبين العالمين خراب
إذا صم منك الود فالكل هين * * * وكل الذي فوق التراب تراب

قيل لما زار أحمد بن حنبل بغداد ولم يعلم أهل بغداد بحضور الشيخ وكان الإمام أحمد بن حنبل يريد أن يقضي ليلته في المسجد ، ولكن منع من المبيت في المسجد بواسطة حارس المسجد حاول مع الإمام ولكن لا جدوى ، فقال له الإمام سأنام موضع قدمي وبالفعل نام الإمام أحمد بن حنبل مكان موضع قدميه ، فقام حارس المسجد بجره لإبعاده من مكان

المسجد ، وكان الإمام أحمد بن حنبل شيخ وقور تبدو عليه ملامح الكبير ،
فراه خباز فلما رآه يُجرّ بهذه الهيئة عرض عليه المبيت عنده ، وذهب
الإمام أحمد بن حنبل مع الخباز ، فأكرمه ونعمه ، وذهب الخباز لتحضير
عجينه لعمل الخبز ، سمع الإمام أحمد الخباز يستغفر ويستغفر ويستغفر
،ومضى وقت طويل وهو على هذه الحال فتعجب الإمام أحمد بن حنبل ،
فلما أصبح سأل الإمام أحمد الخباز عن استغفاره في الليل ، فأجابه الخباز
: أنه طوال ما يحضر عجينه ويعجن فهو يستغفر ، فسأله الإمام أحمد :
وهل وجدت لاستغفارك ثمره ، والإمام أحمد سأل الخباز هذا السؤال وهو
يعلم ثمرات الاستغفار ، يعلم فضل الاستغفار يعلم فوائد الاستغفار فقال
الخباز : نعم ، والله ما دعوت دعوة إلا أُجيب لي ، إلا دعوة واحدة فقال
الإمام أحمد : وما هي ؟ فقال الخباز : رؤيا الإمام أحمد بن حنبل فقال
الإمام أحمد : أنا أحمد بن حنبل ، والله إني جررت إليك جراً .

٥- صحبة أهل الطاعة والإيمان :

فصحبة أهل الطاعة والإيمان أهل الصلاح والفلاح والنجاح تقتضي :
الاقتداء بهم ، والتأسي بحالهم ، والانتفاع بكلامهم ، والنظر إليهم ، وفي
ذلك كله حلاوة يجد المسلم أثرها في قلبه وفي سلوكه .

قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : " **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) سورة الكهف .**

وقال : " **الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** (٦٧) سورة الزخرف.

قال أمير المؤمنين عمر بين الخطاب رضي الله عنه لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله : لولا أن أسير في سبيل الله عز وجل . ولولا أن أضع جبهتي لله أو أجالس أقواماً ينتقون أطيب الحديث كما ينتقون أطيب الثمر.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا فقالت وما هن فقال لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمه لحياتي وظمأ الهواجر ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة وتمام التقوى أن يتقى الله عز وجل العبد حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حاجزا بينه وبين الحرام إن الله تعالى قد بين لعباده الذي هو يصيرهم إليه قال تعالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه ولا شيئا من الخير أن تفعله . حلية الأولياء ٢١٢/١.

قال الشاعر :

إذا كنت في قومٍ فاصحب خبارهم * * *
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تنسل وسل عن قرينه * * *
فكل قرينٍ بالمقارن يقندي
وقال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته * * *
كم صالحٍ بفساد آخر يفسد
عدوي البليد إلى الجليد سريعة * * *
والجمر يوضع في الرماد فيخمد
قال جعفر بن سليمان : "كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع كأنه وجه ثكلى". (وهي التي فقدت ولدها).

وكان ابن المبارك يقول: "كنت إذا نظرت إلى وجه الفضيل بن عياض احتقرت نفسي".

وقد قالوا قديما من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه.

قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا، قال: أجلس مع الصحابة والتابعين وأنظر في كتبهم وآثارهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

قال العابد أحمد بن حرب : عبت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء :تركت رضي الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق . وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة . (السير: ١١ / ٣٤).

فمصحبة من يحسون بحلاوة الإيمان تعديك وتنقل إليك تلك الحلاوة فتشاركهم أنسها وطعمها ولذتها . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: إِنْ لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَلَائِكَةٌ سَيَّارَةٌ فُضِّلًا يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذَّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، فَحَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا ، أَوْ صَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لَا ، أَيُّ رَبٍّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ قَدْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبٍّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرَتُهُمْ

مِمَّا اسْتَجَارُوا ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ
فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ
جَلِيسُهُمْ . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٠٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٨ / ٨)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ
: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَنْ شُبْرُمَةُ
؟ قَالَ : قَرِيبٌ لِي . قَالَ : هَلْ حَجَجْتَ قَطُّ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ
نَفْسِكَ ، ثُمَّ جَجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ . اللفظ المثبت لابن ماجة ، وفي رواية أبي
داود ، وابن خزيمة : قال : أخ لي ، أو قريب لي . ، وفي رواية أبي يعلى
: قال : أخ لي ، أو نسيت . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٨١١) و"ابن ماجة" ٣٩٠٣ و"ابن
خزيمة" ٣٠٣٩ ، صحيح ، ١ للإرواء (٩٩٤) ، المشكاة (٢٥٢٩) ، الروض النضير (٤١٨) ، صحيح أبي داود (١٥٨٩)

عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني قال أتيت مسجد أهل
دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا
شباب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى
فتى شاب قال قلت لجليس لي من هذا قال هذا معاذ بن جبل قال فجئت
من العشي فلم يحضروا قال فغدوت من الغد قال فلم يجيئوا فرحت فإذا أنا
بالشاب يصلي إلى سارية فركعت ثم تحولت إليه قال فسلم فدنوت منه
فقلت إني لأحبك في الله قال فمدني إليه قال كيف قلت قلت إني لأحبك في
الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه يقول :
المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله
قال فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ بن جبل
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه عز وجل

يقول حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتباذلين في وحقت محبتي للمتزاورين في والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لأظل الا ظله .المسند ٢٣٦/٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير حبيب بن أبي مرزوق فقد روى له الترمذي والنسائي وهو ثقة .

وروى أن عمر رضي الله عنه صر أربعمئة دينار وقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام إلى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها إلى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضي إليه وقال له كما قال لأبي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبره عمر فقال أنهم إخوة بعضهم من بعض .رواه الطبراني ، صحيح الترغيب والترهيب ٢٢٥/١.

قال مخول جاعني بهيم يوما فقال لي : تعلم لي رجلا من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاه يرافقني ! قلت : نعم ،فذهبت إلى رجل من الحي له صلاح ودين ، فجمعت بينهما ، وتواطأ على المرافقة ، ثم انطلق بهيم إلى أهله فلما كان بعد أتاني الرجل فقال : يا هذا ! أحب أن تزوي عني صاحبك وتطلب رفيقا غيري .فقلت : ويحك ، فلم ؟! فوالله ما أعلم في الكوفة نظيرا له في حسن الخلق والاحتمال ، ولقد ركبت معه البحر فلم أر إلا خيرا .قال : ويحك ! حدثت أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر ، فهذا

ينغص علينا العيش سفرنا كله .قال : ويحك ! حدثت أنه طويل البكاء
أحيانا عند التذكرة ، يرق القلب فيبكي الرجل ، أوما تبكي أحيانا ؟ قال
بلى ، ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جدا من كثرة بكائه ، قال : قلت :
اصحبه فلعلك أن تنتفع به.قال : أستخير الله فلما كان اليوم الذي أراد أن
يخرج فيه ، جيء بالإبل وطيء لهما فجلس بهيم في ظل حائط ، فوضع
يده تحت لحيته ، وجعلت دموعه تسيل على خديه ، ثم على لحيته ، ثم
على صدره ، حتى والله رأيت دموعه على الأرض .قال : فقال لي
صاحبي : يا مخول قد ابتدأ صاحبك ، ليس هذا لي برفيق ، قال : قلت :
ارفق لعله ذكر عياله ومفارقتهم إياهم فرق .وسمعها بهيم فقال : والله يا
أخي ما هو ذاك ، وما هو إلا أنني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة ، قال :
وعلا صوته بالنحيب . قال لي صاحبي : والله ما هي بأول عداواتك لي
أو بغضك إياي ، أنا مالي ولبهيم ؟! إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم
وبين ذواذ بن علبة ، وداود الطائي ، وسلام أبي الأحوص ، حتى يبكي
بعضهم إلى بعض ، حتى يششفوا أو يموتوا جميعا .قال : فلم أزل أرفق به
وقلت : ويحك ! لعلها خير سفرة سافرتها .قال : وكان رجلا صالحا ، إلا
أنه كان رجلا تاجرا موسرا ، مقبلا على شأنه ، لم يكن صاحب حزن ولا
بكاء .قال : فقال لي : قد وقعت مرتي هذه ، ولعلها تكون خيرا .قال :
فخرجنا جميعا ، حتى حجا ورجعا ، ما يرى كل واحد منهما أن له أخا
غير صاحبه ، فلما جئت أسلم على جاري قال : جزاك الله يا أخي عني
خيرا ، ما ظننت أن في هذا الخلق مثل أبي بكر ، كان والله يتفضل علي
في النفقة ، وهو معدم وأنا موسر ، ويتفضل علي في الخدمة وأنا شاب
قوي وهو شيخ ضعيف ، ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم .قال : قلت :

فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طول بكائه؟ قال : ألفت والله ذلك البكاء ، وسر قلبي حتى كنت أساعده عليه ، حتى تأذى بنا أهل الرفقة . قال : ثم والله ألفوا ذلك ، فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا ، وجعل بعضهم يقول لبعض ، ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا والمصير واحد؟ قال : فجعلوا والله يبكون ونبكي . قال : ثم خرجت من عنده ، فأتيت بهيما ، فسلمت عليه ، فقلت كيف رأيت صاحبك ؟ قال : كخير صاحب ، كثير الذكر ، طويل التلاوة للقرآن ، سريع الدمعة ، محتملا لهفوات الرفيق ، فجزاك الله خيرا .

٦- الإحسان إلى الناس .

من أجلّ العبادات التي تُرفعُ بها الدرجات: المسابقة إلى فعل الخيرات.. وهي خصلة من طرق أبوابها، ولازم طريقها منحت له النجاة، وطيبته له الحياة، وفتحت له أبواب الجنة بعد الممات.

قال تعالى: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (النحل:٩٧).

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم. قال:

خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً". [صحيح الترغيب: ٣٣٦١]

والإحسان إلى خلق وسيلة من وسائل السعادة وطريق إلى الشعور بحلاوة الإيمان ، وذلك يحتاج إلى قلب نقي تقي طاهر ونفس لا تحمل للناس الا كل خير ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو . قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ ، صَدُوقِ اللِّسَانِ . قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : هُوَ

التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لَا إِثْمَ فِيهِ ، وَلَا بَغْيٍ ، وَلَا غِلٍّ ، وَلَا حَسَدٍ . أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٤٢١٦) الْأَلْبَانِيُّ فِي "السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ" ٢ / ٦٦٩ .

فَانْظُرْ إِلَى الْحَلَاوَةِ الَّتِي تَجِدُهَا فِي قَلْبِكَ حِينَمَا تَعْفُو وَتَصْفَحُ وَتَكْظُمُ غِيْظَكَ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رُوِيَ رُؤُوسُ الْخَلَائِقِ ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٠٢١ / ٤٤٠ (١٥٧٢٢) وَ"أَبُو دَاوُدَ" ٤٧٧٧ وَ"ابْنُ مَاجَةَ" ٤١٨٦ قَالَ : وَ"التِّرْمِذِيُّ" ٢٠٢١ .

وَانْظُرْ إِلَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ حِينَمَا تَكْفُ جَوَارِحَكَ عَنِ النَّاسِ فَلَا تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِالْأَذَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ . أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣٤٩/٤ ، رَقْمُ ٧٨٧٥) وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ (٦٣/٨) : فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وَلَكُمْ يَحْسُ الْمُؤْمِنُ بَطْعَمَ الْإِيمَانِ حِينَمَا تَمْتَدُّ يَدُهُ لِمُسَاعَدَةِ النَّاسِ ، حِينَمَا تَمْتَدُّ يَدُهُ لَتَأْخُذَ بِيَدِ مَصَابٍ أَوْ مَنُكُوبٍ ، حِينَمَا تَمْدُ يَدُهُ لِمَسْحِ دَمْعَةٍ حَزِينٍ أَوْ تَمْسَحَ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ :

: يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي .

أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٥١٧ و"مسلم" ٦٦٤٨ و"ابن حبان" ٢٦٩ و٩٤٤ (صحيح) انظر حديث رقم: ١٩١٦ في صحيح الجامع .

والإحسان إلى الناس يقتضي الصبر على أذاهم وتحمل سوء الخلق منهم، وشم رجل ابن عباس ، فقال له: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله - فلو ددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به - ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ، ومالي به سائمة .

يقول إيليا أبو ماضي:

فاعمل لإسعاد السَّوى وهنائهم * إن شئت تسعد في الحياة وتنعم**

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا * لولا الشعور الناس كانوا كالدمى**

مر يهودي معه كلب على إبراهيم بن ادهم رحمه الله فقال له: أيهما اطهر لحيتك أم ذيل كلبى ؟ فرد عليه :أخي من يقرأ، قبل أن أكمل القصة ، توقع الرد فرد عليه بهدوء: أن كانت لحيتي في الجنة .. فهي اطهر من ذيل كلبك وان كانت في النار. لذيل كلبك اطهر منها. فما ملك اليهودي نفسه إلا أن قال :اشهد أن لا اله إلا الله و أن محمداً رسول الله .. ما هذا إلا خلق الأنبياء.

وروي أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال فذهب إلى داره ليطلبه به، فلما وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة، فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله. ووقعت على حائط

المجوسي ، فتحير أبو حنيفة ، وقال: إن تركتها كان ذلك سببا لقبح جدار هذا المجوسي ، وإن حككتها انحدر التراب من الحائط ، فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها: قلّي لمولاك إن أبا حنيفة بالباب ، فخرج إليه وظن أنه يطالبه بالمال فاخذ يعتذر. فقال أبو حنيفة: ها هنا ما هو أولى ، و ذكر قصة الجدار ، و كيف السبيل إلى تطهيره. فقال المجوسي فأنا ابدأ بتطهير نفسي فأسلم في الحال.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم * * * فطالما استعبد الإنسان إحسان
كان معروف الكرخي قاعدا يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه: أمّا ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟ ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال: الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة . فقال له صاحبه: أنما سألتك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم ، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا. ابن الملقن : طبقات الأولياء ٤٧/١.

اللهم ثبتنا على دين الإسلام وأحسن ختامنا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، ونسألك ربي العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم أحسن خاتمتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة
٥	أولاً : جنة الدنيا وجنة الآخرة
١٢	ثانياً : من أسباب تحصيل حلاوة الإيمان :
١٢	١ - مجاهدة النفس
١٦	٢ - الصلاة والإكثار من النوافل
٢٣	٣ - تلاوة القرآن وتدبره
٢٧	٤ - الذكر والدعاء
٣١	٥ - صحبة أهل الطاعة والإيمان
٣٧	٦ - الإحسان إلى الناس
٤١	الفهرس